

## فصل من كتاب :

# أنا وسارتر والحياة...

بقلم : سيمون ده بوفوار  
ترجمة عائدة مطرجي أدريس

عندما قابلته ثانية ، في تشرين ، كنت قد صفت ماضي (1) . وانخرطت من دون تحفظ في قصتنا . وكان على سارتر ان يذهب قريبا للخدمة العسكرية . وفي انتظار ذلك كان في اجازة . وكان يسكن في شارع سان جان عند جديده شويتزر ، وكنا نتلاقى في الصباح ، في الكسمبورغ الرمادي والذهبي . ولم تكن نفترق الا في ساعة متأخرة جدا من الليل . كنا نمشي في باريس ، وكنا نتابع كلامنا ، عن انفسنا ، عن علاقتنا ، عن حياتنا ، وعن كتبنا القادمة ، وكنا نحدد النقاط . واليوم يبدو لي ان اهم ما كان يدور في هذه الاحاديث ، لم تكن الاشياء التي كنا نقولها بقدر ما كانت تلك التي كنا نعتبرها « مستجابة » ولم تكن حقا كذلك : لقد كنا مخدوعين في كل شيء ، ولكي نحدد انفسنا يجب ان نستعرض هذه الاخطاء لانها كانت تعبر عن واقع : واقع وضعنا .

ولقد سبق لي ان ذكرت ان سارتر كان يعيش ليكتب ، وكان قد قطع على نفسه عهدا بان يكون شاهدا لجميع الاشياء وان يتصرف بها على ضوء الضرورة . اما انا فقد كنت مجبرة على ان اعير وعيي لروعة الحياة المتنوعة . وقد كان علي ان اكتب لانتزع وعيي من الزمن ومن العدم . وكانت هذه المهمات تفرض نفسها علينا بخصمية كانت تكفل لنا الانجاز . وكنا ننتهي التفاوض « الكنتي » من دون ان ننص على ذلك لانفسنا . يجب عليك ، اذن تستطيع . وبالفعل ، كيف يتسنى للارادة ان تشك في نفسها حتى تتقرر تتأكد ؟ انه اذن شيء واحد ، ان يراد وان يعتقد . ثم اننا كنا وثقنا بالعالم وبانفسنا ، اما المجتمع ، فسي حالته الحاضرة ، فقد كنا ضده . ولكن هذا التضاد لم يكن فيه شيء من الشراسة . لقد كان يقتضي تفاؤلا متينا . كان ينبغي ان يصنع الانسان من جديد ، وهذا الصنع كان جزئيا عملا . ولم تكن نتصور ان نشارك في الخلق بطريقة غير الكتب . فالاعمال العامة كانت تضجروا .

ولكننا كنا نحسب ان الحوادث تجري حسب رغباتنا من دون ان يكون علينا ان نتدخل بها . وعلى هذه النقطة ، كنا ، في الخريف من عام 1929 ، نشاطر اليسار الفرنسي كله في الارتياح . فالسلام كان يبدو انه مؤكد نهائيا وانتشار الحزب النازي في المانيا لم يكن يمثل سوى بداية حادث لا اهمية له . والاستعمار سيصفي امره في فترة وجيزة . فالحملة التي قام بها غاندي ، والانتماضة الشيوعية فسي اندونيسيا كانا يضمنان السلام . والازمة الهائلة الفريدة التي كانت تهز العالم الراسمالي كانت تنبئ ان هذا المجتمع لن يصمد طويلا . وكان يبدو لنا اننا بدأنا نعيش العصر الذهبي الذي كان يشكل في نظرنا حقيقة التاريخ الخفية والتي كانت تكفي بان تكشفه . وكنا نهمل وزن الواقع على جميع مستوياته . ففي كل نشاط ، تتكشف حربة ما ، وخاصة في النشاط الفكري ، لانها تترك مجالا ضيقا للتكرار . ولقد عملنا كثيرا ومن دون هدنة . كان علينا ان نفهم

صدر اخيرا في باريس كتاب رائع للادبية العالمية سيمون دويوفوار تتحدث فيه عن علاقتها الفكرية والعاطفية بجان بول سارتر . وتلشر « الاداب » فيما يلي فصلا من هذا الكتاب الذي يصدر عن دار الاداب قريبا بعنوان « انا وسارتر والحياة » .

كان اول ما اسكرني ، حين رجعت الى باريس في ايلول عام 1929 ، حريتي . . .  
و حين عاد سارتر الى باريس ، في منتصف تشرين الاول ، بدأت حقا حياتي الجديدة .

وزارني سارتر في مقاطعة « ليموزان » . وكان ينزل في فندق بول دور ، في سان جرمان لي بيل . ولكي نتفادى الاقاييل كنا نلتقي في الريف على مسافة بعيدة من السوق . وبسببي جنل كنت اطوي في الصباح البراري التي كانت ما تزال رطبة والتي سبق لي غالبا ان اجتررت فيها وحدتي بمرارة ! وكنا نجلس على العشب نتحدث . وما كنت لاتصور ، في اليوم الاول ، ان هذا الاشغال بعيدا عن باريس وعن رفاقنا كان يمكن ان يكفينا . . . وكنت قد اقترحت بان «نحمل كتبنا ونقرأ» . فحنق سارتر . وكان قد كنس ايضا جميع مشاريع نزهاتي . وكانت خضرة تلك الراعي تثير اعصابه ، فلم يكن يقبلها الا شرط ان ينسأها . فليكن . كان حسبي ان اشجع حتى تكف الكلمة عن ان تخيفني . فاستأنفنا الحديث المبدوء في باريس . وما لبثت ان ادركت ان الزمن سيبدو لي اقصر مما ينبغي حتى ولو استمر هذا الحديث الى نهاية العالم . كان الصباح ييزغ وكان جرس الفطور يدق . وكنت اذهب لاتناول طعامي عند العائلة . وكان سارتر يأكل خبزا موصلا او جبنة كانت ابنة عمي مادلين تضعها بصورة خفية في برج مهجور للحمام بالقرب من « البيت الاسفل » . كانت تحب الاشياء الروائية . وكان الاصيل ما يكاد يفتح حتى يذبل ، ويهبط الليل ، فيعود سارتر الى فندقه . وكان يتعشى بالقرب من تجار جوالين . وكنت قد قلت لاهلي اننا كنا نعمل في كتاب سيكون نقدا للماركسية . وكنت آمل ان املقهم بانارة كرههم للشيوعية ، ولكنني لم اقمهم قط . فبعد اربعة ايام من مجيء سارتر ، رأيتهم ينتصبون امام سياج الحقل حيث كنا جالسين . واقتربوا . وكان يبدو على ابي انه حازم ، ولكنه مرتبك بعض الشيء تحت قبعته المصفرة . وكان سارتر يرتدي فسي هذا اليوم قميصا ازهر اللون ، فقفز على قدميه والتحدي في عينه . فطلب منه والذي بلطف ان يغادر البلد . فالناس يثرثرون وسلوكي السيء المكشوف يسيء الى سمعة ابنة عمي التي يسعون لزواجها . ورد سارتر بحيوية ولكن من دون ضجة كبيرة لانه كان مقررا الا يختصر رحلته ساعة واحدة .

واكتفينا بان نتواعد على اللقاء بمزيد من التخفي ، في بساتين الكستناء البعيدة . ولم يعد والذي الى محاولته ، وبقي سارتر اسبوعا اخر في بول دور . وفيما بعد اخذنا تنكاتب يوميا .

(1) رويت قصة هذه التصفية في « مذكرات فناة رصينة »



سارتر وسيمون ده بوفوار : « ان تفاهمنا قائم ما دمنا على قيد الحياة»

صافية . وقد قوى هذا الاعتقاد الحماسة التي كنا نرصدها للمستقبل . ولم تكن مستعدين لاية مصلحة مجددة ما دام الحاضر والماضي ينبغي ان يتجاوزا نفسيهما بلا انقطاع . ولم تكن نتردد في ان نحاكم جميع الاشياء ونحاكم نفسيهما كلما كانت الظروف تدعونا لذلك . كنا ننتقد ذاتنا . وكنا ندينها بيسر لان كل تبديل كان يبدو لنا تقدما . ولما كان جهلنا يخفي عنا معظم المشكلات التي كان من الواجب ان نلتفتنا ، فقد كنا نكتفي بهذه المراجعات وكنا نعتبر اننا جسوران .

كنا نمشي طريقنا من دون اكرام ، ومن غير عفة ولا ارتباك ولا خوف ، ولكن كيف كان يمكننا الا نعثر على الاقل بحواجز ؟ ذلك ان جيوبنا كانت في الحقيقة مسطحة جدا . كنت اربح معيشتي بتقير . وكان سارتر يصرف من ارث صغير ورثه من جدته لابييه . كانت المخازن تفسح باشياء ممنوعة . وكانت امكنة الترف مسدودة في وجهنا . وكنا نواجه هذه الممنوعات باللامبالاة وحتى بالاحتقار . ولم تكن من النساك على الاطلاق . اما اليوم فقد كانت الاشياء التي في متناول يدي والتي كنت المسها خصوصا هي التي تحمل ثقل الواقع ، وكان سارتر شبيها لي في ذلك : وكنت استسلم لرغباتي واهوائي ، حتى لم يعد في ما افرض به في رغبات عابثة . فلماذا ترانا نتأسف لعدم ركوبنا سيارة في الوقت الذي كنا نقوم - ونحن ننزله على قدمينا ، على طول بحيرة سان مارتان او على محطات بيرسي - باكتشافات كثيرة ؟ وعندما كنا نأكل في غرفتي خبزا وكبدة « ماري » الدسمة ، وعندما كنا نتعشى في مطعم دوموري الذي كان سارتر يحب رائحة بيرته الثقيلة وكرنيه المخمر ، لم تكن نشعر اننا محرومان من شيء . وفي المساء ، في «الفلسف» و «الكوليجين» كنا نشرب الوانا كثيرة من الخمر الرخيص . وكنت احب كثيرا نبيذ

وان نكتشف من جديد . وكان لنا من الحرية حدس عملي غير قابل للرفض . وخطانا كان يكمن في اننا لم نحصرها في حدودها الدقيقة ولقد اخذ احدنا بالآخر على غرار حمامة « كانت » ، فان الريح التي تصمد لها ، بدل ان تفيق تحليقها ، تسندها . فالشيء الممنوح كان يبدو لنا كمادة لمجهوداتنا لا كتكليف لها . كنا نفكر باننا لا نتوقف على شيء . وهذا التكبر الروحاني كان مرجعه اولا الى عنف مشاربنا . ومثله في ذلك مثل عمانا السياسي . ان من يكتب ويخلق لا يجزؤ قط على ان يقوم بهذه المغامرة اذا لم يكن يتصور انه سيد نفسه المطلق وسيد غاياته ووسائله ، وجرأتنا كانت لا تنفصل عن الاوهام التي كانت تسندنا ، وكانت الظروف تيسرها معا . ولم يكن هناك اي عائق خارجي يجبرنا على ان نندفع ضد انفسنا . كنا نريد ان نعرف ، وان نعب . ووجدنا اننا منخرطان حتى الخناق في هذه الطريق وكانت حياتنا تحقق آمالنا بدقة شديدة حتى انه كان يبدو لنا اننا نحسن اللذان اخترناها وكنا ننتبنا باننا سوف نخضعها دائما لغاياتنا . والخطر الذي كان يساعدنا كان يحجب عنا بؤس العالم . ومن جهة اخرى لم تكن في صميمنا نشعر بقيود تربطنا . لقد احتفظت بعلاقات طيبة مع اهلي ، ولكنهم فقدوا كل سلطة علي . ولم يعرف سارتر قط والده . ولم تكن امه ولا اولياؤه يجسدون في نظره القانون . وبمعنى اخر كان كلانا بلا عائلة ، وكنا قد صببنا هذا الوضع في مبدأ . وكنا قد تشجعنا بعقلانية ديكارت التي نقلها الينا « الين » والتي اعتنقناها بالذات لانها تناسبنا . ولم يكن هنالك اي وسواس ، ولا اي احترام ، ولا اية ملازمة عاطفية تمنعنا ان نتخذ قراراتنا على ضوء العقل ورغباتنا . ولم تكن نرى في انفسنا شيئا من الكثافة او الاضطراب . كنا نعتقد اننا كنا وعيا مجردا واردة

المصفة من الكلام كانت ممتوعة عليه . وكان الوحش يتشاب ، وكانت دموع تسيل على جلده الزيتي . وكان يهدد رأسه ثم استرخى منهزما . وعندما كان العزن يجلل وجه سارتر ، كنا نزعج ان روح فيل البحر البانسة قد حلت فيه . وكان يتم هذا التغيير بان يرفع عينيه الى السماء ، ويتشاب ويتنهل من دون كلام . وكان هذا التمثيل يوقظ بهجته . وهكذا كانت امزجتنا تبدو لنا وكأنها قدر تعززه اجسادنا، ولكن كاقنعة ترتديها بدافع الفساد ونخلعها عن انفسنا بارادتنا . وفي فترة صبانا كله ، وحتى مابعد ، كنا نندفع الى الدراما - البسيكولوجية المقتضية كلما كان علينا ان نواجه مواقف بغيضة او صعبة ، كنا نبد لها وكنا ندفعها الى حدنا الاقصى وكنا نهزأ بها وكنا نستشمرها طولا وعرضا وكان هذا يساعدنا كثيرا على ان نسيطر عليها .

وبهذه الطرق كنا نأخذ وضعنا الاقتصادي واذ التقينا في باريس ، حتى قبل ان نحدد علاقتنا ، منحناها على الفور اسما : هذا زواج لاشرك فيه الرجل امراته بحقوقه . . . وكنا نملك هوية مزدوجة ، فقد كنا عادة موظفين غير غنيين ، ومن دون اطعام ومكثفين بالقليل . وكنت احيانا اعنتي بزيتي ، فنذهب الى دار للسبنا في الشنزليزيه او الى مرقص الكوبول ، وكنا انذ صاحبي مليارات اميركين . ولم يكن المقصود من ذلك اطلاقا تمثيلة هيسترية ، غايتها ان تقنعنا لساعات اننا كنا نذوق ملذات الوسرين ، ولكن ذلك كان يعني تقليدا يؤكد احتقارنا للحياة الباذخة ، وكانت حلاتنا المتواضعة تملانا رضى ، ولم تكن الثروة تستطيع شيئا بالنسبة لنا . كنا نطالب بوضعنا ، ولكننا كنا في الوقت نفسه ، نقصد ان نهرب منه ، فالبرجوازيان الفقيران اللذان كناهما لم نكنهما حقا . ففي الوقت الذي كنا نمثل دورهما كنا نتميز عنهما .

ولقد رأينا كيف كنت اعتبر اعمالنا الروتينية ومن بينها مهنتي في التدريس كأنها تنكر ، فالتمثيل اذ يبعد حياتنا عن الواقع ، ينتهي بان يقنعنا بانه لا يحتوي ، اننا لاننسب الى اي مكان ولا اي بلد ، ولا اية طبقة ولا اية مهنة ولا اي جيل ، فحقيقتنا كانت خارج ذلك . كانت ترسم في الازل ، والمستقبل هو الذي سوف يكشفها : لقد كنا كاتبين ، واي تحديد اخر لم يكن الا زيفا ، وكنا نفكر ان نتبع قاعدة الرواقين القدامى الذين راهنوا بكل شيء على الحرية ، ولما كنا بالجسد والروح نلتزم العمل الذي كان يتوقف علينا ، فاننا كنا نتحرر من جميع الاشياء التي لم تكن تتوقف عليه ، ولكننا لم نكن لنزهد فيها ، بل كنا اشد فهما من ان نتقبل ذلك ، غير اننا كنا نضعها بين هلالين . هذه الامبالاة ، وهذا الاهمال وهذا الاستعداد الذي كانت تسمح لنا به الظروف ، كان من المفري ان نخلطها مع حربة طافية ، ومن اجل ان نقضي على هذه الخدعة، كان علينا ان نتخذ مسافات تجاه انفسنا : ولكننا لم نكن لنملك الوسائل لذلك ولا الرغبة على الاطلاق .

وكان من الممكن لنظامنا ان يتبرانا : الماركسية وعلم التحليل النفسي . ولم نكن نعرفهما الا معرفة اجمالية فجة ، واني لاذكر الحركة العادة جدا في « البليزر » بين سارتر وبوليتزر الذي كان يود ان يرد سارتر الى صفته « البرجوازي الصغير » ، ولم يكن سارتر يرفض الصفة ، ولكنه كان يصبر على انها لا تكفي لتحديد موقفه . وكان يطرح مشكلة المفكر الشائكة ، المنحدر من البورجوازية ، القادر ، في نظر ماركس نفسه، على ان يتجاوز وجهة نظره طبقة . في اية ظروف ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ وكان شعر بوليتزر الاحمر يشتعل ، كان يتكلم بتدفق ولكنه لم يتوصل الى اقناع سارتر ، ومهما يكن من امر فقد كان بوسع سارتر ان يستمر في منح الحرية حظها مادام لا يزال يعتقد بها الان ، ولكن تحليلا جادا كان يمكن ان يقلص الفكرة التي كنا نكونها عنهما ، فعندما اكرارنا بالمال كان ترفا يمكن ان نمنحه لنفسنا لاننا كنا نملك منه ما فيه الكفاية بحيث لم نكن نشكو العوز ولم نكن مقسورين على القيام باشغال شاقة ، ونحن مديان بتفتحنا الفكري لثقافة ومشاريع هي في متناول طبقتنا وحدها . لقد كان وضعنا كمثقفين من مثقفي البورجوازيين الصغار هو

العسل الفيكنس وكوكيتل المشمش الذي كان من خصوصيات « بيلك دوغاز » بشاوع مونبارناس ، فلماذا كان يستطيع ان يقدم لنا مقهى ريتز اكثر من ذلك ؟ لقد كانت لنا اعيادنا . وذات مساء في الفيكنس، اكلت دجاجة عنبية بينما كانت جوقة على مدرج تعزف لحنا شائعا ، وكنت اعلم ان هذه المادة لم تكن لتبهرنني لو لم تكن فريدة ، وحتى مواردنا المتواضعة ، كانت في خدمة سعادي . ثم ليست المتعة المباشرة هي التي نبحث عنها في الاشياء الثمينة ؟ انها تساعد على ان تكون واسطة مع الاخر . وسحرها انما يضيفه عليها سحره اخرون . وبالنظر الى تريتينا الفاسية وصرامة التزامنا الفكري ، كان رواد الفساق والفخمة والرجال الذين يرتدون اللباس الاسباني والنساء ذوات الفرو والدوقات واصحاب الالابن لا يفرضون انفسهم علينا . بل اننا كنا نعتبر هذا العالم الجديد - الذي كان يستغل عهدا كنا نشجبه - تقلا للارض . كنت احس تجاه هؤلاء جميعا بشفقة ساخرة . وعندما كنت امر امام ابواب فوكس او ماكسيمس التي لا يمكن اجتيازها ، كنت اقول لتفسي ان البعدين هم اولئك المتورون عن الجموع ، المثليون في ترفهم وانانيتهم . وفي العموم لم يكونوا موجودين بالنسبة لي . فمميزاتهم وترفهم لم تكن تنقصني اكثر مما كانت السينما والراديو يتقصان اليونانيين في القرن الخامس .

ولكننا لم تكن نشور ، لاننا كنا نعلم ان الاشخاص المعبرين لم يكن عندهم شيء ليعلمونا اياه . وفسادهم الفخم لم يكن يقضي الا افراقا .

لم يكن شيء اذا ليعدنا ، ولا شيء يستعبدنا . فعلاقتنا بالعالم ، كنا نحن اللذين نخلقها . والحرية كانت جوهرنا بالذات وكنا نمارسها يوما تلو الاخر بنشاط كان يحتل مكانا كبيرا في حياتنا : التسلية . وكان معظم الأزواج الجدد يوضعون باللعب والاساطير فقر ماضيهم المشترك . وكنا نركض اليهم بانديفاع متزايد بمقدار مزاجنا النشيط وعيشنا الوقت في البطالة وسواء كانت اختراعاتنا مهازل او تقليدا او امثالا ، فقد كان لها دورها المحدد . كانت تحمينا من روح الوقار هذه التي كنا نرفقها بالقوة نفسها التي كان يرفضها بنتشه ولاسياب متشابهة . ولقد كانت تخفف العالم اذ تلقيه في الخيالي وتتيح لنا ان نبقى على مسافة منا .

ومن بيننا نحن الاثنان كان سارتر اكثرنا غنى . كان يؤلف اغاني شعبية واغاني للاطفال وقصائد هجاء وقصائد غزلية وخرافات سريعة وجميع انواع القصائد السريعة . واحيانا كان يغنيها على انغام شخصية ولم يكن يحترق لا الجناس ولا الاشياء التقريبية . كان يتسلى بالجناس ويترداد الحروف في جملة واحدة . لقد كانت طريقة ليعود على الكلمات ويستقلها وفي الوقت نفسه يزيح عنها ثقلها اليومي . وكان قد استعار من « سينج » خرافة « المهرج » الناتج الابدي الذي كان يقنع بقصص جميلة خيالية تفاهة الحياة .

وكانت صحتنا قوية ، وكانت لدينا استعدادات مرحة . ولكنني كنت لا اطيق العاكسات . وكان وجهي يتغير ، وكنت انقلق على نفسي واحرد ، وكان سارتر ينسب لي شخصية مزدوجة . ففي الاوقات العادية كنت القدس ، ولكن في بعض الاحيان كان هذا الحيوان يتنازل عن مكانه لمراة شابة مفيظة بعض الشيء : الانسة بوفوار . وكان سارتر يحسك حول هذا الموضوع تنوعات كانت تنتهي دائما بان تسرني . اما هو ، فقد كان يتفق له غالبا - في الصباح عندما يكون الصباب كثيفا في رأسه، او عندما تدفعه الظروف الى الغمول - ان ينصب عليه الاحساس بعدم اللزوم ، فكان يتراكم على نفسه كأنما كان يريد ان يعد من سيطرته ، وكان في هذه الحالة يشبه فيل البحر الذي كنا قد شاهدناه في حديقة الحيوانات والذي كان انه قد فتت نفسنا ، وكان حارس قد القى في خرطومه سطلا مليئا بالسماك الصغير ، ثم قفز على بطنه ، واذا اكتسخته هذه السمكات الصغيرات ، رفع فيل البحر نحو السماء عينيه الصغيرتين والتاثنتين وكان يخيل ان هذه الجثة الفخمة من اللحم كانت تحاول من خلال هذا الثقب ، ان تحول نفسها الى ابتهاج . ولكن حتى هذه

الذي يدفعنا الى الاعتقاد باننا غير مقيدين بشرط .

فلماذا هذا البذخ بالذات بدلا من سواه ؟ لماذا بقينا متيقظين بدلا من ان ننام في اليقين ؟ لقد كان باستطاعة علم النفس التحليلي ان يمنحنا اجوبة لو اننا استشرناه . لقد بدأ هذا العلم يفزو فرنسا وكانت بعض مظاهره تهمنا ، ففي الامراض النفسية - العقلية كانت « غدة جورج دوماس » الموحدة تبدو لنا - كما تبدو لمعظم اصدقائنا - غير مقبولة . كنا نتقبل برضى الفكرة القائلة بان الامراض العقلية ، والحالات العصبية واعراضها ذات تفسير يرتد الى طفولة المصاب : ولكننا كنا نتوقف هنا ، اذ كنا نرفض العلم النفسي التحليلي كمنهج لسبر اغوار الانسان الطبيعي ، لم نكن قد قرأنا لفرويد سوى كتبه في « تفسير الاحلام » و « الامراض العقلية للحياة اليومية » وكنا قد ادركنا الحرف بدل الروح ، فقد اجدلنا هذه الكتب بمرزها العقائدية وبتداعي الافكار الذي كانت تتميز بها . وكانت جنسية فرويد الجامعة تبدو لنا هديانا ، وكانت تصدم بروتستانتينا . وكنا نرى ان نظرية فرويد ، بسبب الدور الذي تسنده الى اللاوعي ، وبصلابة تفسيراتها الالية ، كانت تسحق الحرية الانسانية : ولم يكن من احد يرشدنا الى توفيق ممكن ، ولم يكن باستطاعتنا ان نكتشفه . وبقينا مجتمدين في موقفنا العقلاني والارادي ، وكنا نفكر انه لدى الانسان الطبيعي تنتصر الحرية على عواقب الجروح والتقييدات والذكريات والتأثيرات ، واذ كنا نطيق عاطفيا من طفولتنا ، فقد بقينا نجهل طويلا ان هذه اللامبالاة تفسر بطفولتنا نفسها .

واذ كانت الماركسية وعلم النفس التحليلي لم يؤثرنا فينا الا قليلا ، بينما كان عدد كبير من الشبان يتبنونها ، فليس ذلك فقط لاننا لم تكن لدينا عنهما الا مبادئ اولية ، ولكن لاننا كنا لانرغب في ان ننظر الى انفسنا ، من بعيد ، بعيون اجنبية : كان يهمننا اولاً ان نتطابق مع انفسنا .

وبدلاً من ان نرسم نظريا حدودا لحريرتنا ، كنا نهتم عمليا بان نحميها لانها كانت في خطر .

وحول هذه النقطة ، كان ثمة فرق كبير بين سارتر وبيننا . وكان يبدو لي اعجوبة ان انتزع نفسي من ماضي ، وان اکتفي بنفسي وان اقرر شؤوني . وكنت قد امتلكت مرة واحدة والى الابد استقلالي الذاتي . ولن يكون ثمة شيء ليسلبيني اياه . اما سارتر فلم يكن يدخل الا مرحلة من وجوده كرجل كان قد تنبأ بها منذ زمن طويل باشمئزاز وكان فسي بدء فقدانه لا مسؤولية صباه الاول . كان يدخل الى عالم البالغين البيض ، وكانت حريرته مهددة لاضطراره اولا الى ان يقضي ثمانية عشر شهرا في الحياة العسكرية . ثم ان التدريس كان يترصده . وكان قد وجد مهربا له اذ كانوا يطلبون الى اليابان فارنا للفرنسية ، وكان قد وضع طلبه لنشرين ١٩٢١ ، وكان ينوي ان يبقى هناك سنتين ، وكان يأمل ان يتعرف الى غربات جديدة ، وكان على الكاتب وراوي القصص

بالنسبة له ان يشبه « مهرج السيئ » فهو لا يتوقف في النهاية في اي مكان ، او بالقرب من اي شخص . ولم يكن سارتر يؤمن بوحدة الزواج ، وكان يسر بعشرة النساء اللواتي يراهن اقل سخريه من الرجال ، ولم يكن يقر ، وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، ان يرفض الى الابد تنوعهن الجذاب . . كان يشرح لي قائلا وهو يستعمل تعبيراً يعز عليه ، « ان العلاقة بيننا تعني حبا ضروريا ، وينبغي ايضا ان نعرف حبا غير لازم » ولقد كنا من نوع واحد ، وكان تفاهمنا سيظل قائما مادامنا على قيد الحياة ، ولا يمكن لاي غنى موقت ناتج عن لقاءات مع كائنات مختلفة ان يعوض عنه ، وكيف كان بإمكاننا ان نتجاهل بوعي سلم الاندهاشات والحسرات والحنين والمسرات التي كنا مؤهلين للاحساس بها ؟ كنا نفكر بذلك طويلا اثناء نزهاتنا . وذات مساء ذهبنا مع نيزان وزوجته لنشاهد « العاصفة على اسيا » في الشنلزيه . وبعد ان فارقناهما نزلنا مشيا الى حدائق « الكاروسيل » ، وجلسنا على مقعد حجري مستندي الى احد اجنحة اللوفر ، وكان ثمة درابزين منفصل عن الحائط بمسافة ضيقة : وفي هذا القفص كان قط يموء ، كيف استطاع ان ينزل الى هنا؟ لقد كان اكبر حجما من ان يستطيع الخروج منه . وكان المساء بهيطحين وتقدمت امرأة ويدها كيسي من الورق فاخرجت منه فضلات اطعمت بها القط وهي تداعبه برفق . وفي هذه اللحظة اقترح سارتر : « لنوقع عقدا لسنتين » ، وكان العقد يمكنني من ان اتدبر امري لابقى في باريس خلال هاتين السنتين فنقصيهما في صميمية شديدة الى ابعد مايمكن ، وبعد ذلك كان ينصحنني بان اطلب انا ايضا وظيفة في الخارج بحيث نبقى منفصلين سنتين او ثلاثا . ثم نلتقي في مكان ما على الارض ، في اينا مثلا ، لنستأنف في فترة تطول او تقصر حياة مشتركة بعض الشيء ، فابدا لن نصبح غريبين احدا عن الآخر ، وابدأ لن ينادي احدا الاخر عبثا ، ولن يكون ثمة ما يفوق هذا التحالف قيمة ، على انه ينبغي الا ينحدر الى قسر او عادة . وكان علينا باي ثمن ان نحفظ من هذا الفساد . ورضيت ، والفراق الذي كان يواجهه سارتر كان من دون شك يرعبني ولكنه كان يمتحي في الابد ، وكنت قد اتخذت لنفسني قاعدة بان لا اغرق نفسي بالهموم المسبقة . فكلما كان الخوف يلم بي كنت اعتبره ضعفا وكنت اجهد بان احده ، وكان يعينني في ذلك ماكنت احسه مسن صلابة في كلمات سارتر ، فالشروع معه ، ليس قط ثرثرة مشكوكا بقيمتها بل لحظة من الحقيقة . فان كان يقول لي ذات يوم « اللقاء بعد اثنين وعشرين شهرا بالضبط في الساعة السابعة عشرة عند الاكروبول تأكدت اني سأجده عند الاكروبول في الساعة السابعة عشرة بالضبط ، بعد اثنين وعشرين شهرا . وبصورة عامة ، فان أية مهيبية لن تلحقني بسببه ابدا ، الا اذا مات قبلي .

ترجمة عابدة مطرجي ادريس

# مهرج غير عادية

أبوالمعالي أبوالنجا